**الجامعة المستنصرية – كلية الآداب**

**قسم اللغة العربية / المرحلة الثالثة**

**أ . د . لطيفة عبد الرسول**

**مادة الكتاب القديم**

**المحاضرة الثلاثون**

**التعاون والإحسان**

في الإسلام رصيد معرفي ضخم يدعو إلى قيم التعاون والإحسان في أكثر من اتجاه وعلى أكثر من صعيد ، الأمر الذي يرسي أساس التكافل ويعمّق من مساره ، فالقرآن وهو المصدر المعرفي الأساسي يحثّ في آيات

عديدة على التعاون ، يقول في هذا الصدد : « وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى » المائدة / 2.

وقال الرسول الأكرم صلى‌ الله‌ عليه ‌وآله : « من مشى في عون أخيه ومنفعته ، فله ثواب المجاهدين في سبيل اللّه » ثواب الأعمال / الشيخ الصّدوق : 288.

تجدر الإشارة إلى أن الإنسان خلق وحده ضعيفا لا يقدر على شيء إلاّ إذا توفرت له ظروف التعاون مع غيره ، والقليل إلى القليل كثير ، والضعيف إذا ساند الضعيف قوى ، فالحياة الاجتماعية ما هي إلا تعاون أفراد المجتمع في سبيل توفير الطمأنينة النفسية لأفراده الذين يقعون تحت تأثير الحاجة أو الفزع أو القلق أو الاضطراب أو العجز عن تهيئة الامكانات التي تعيد الطمأنينة النفسية إليهم ، من هنا تظل الحاجة إلى التعاون ماسة عبر الزمن.

يروي إسحاق بن عمّار أنّه سمع الإمام الصادق عليه‌ السلام يقول : « يأتي على الناس زمان من سأل الناس عاش ، ومن سكت مات ، قلت : فما أصنع إنّ أدركت ذلك الزمان؟ قال : تعينهم بما عندك ، فإن لم تجد فبجاهك » الكافي : 1 / 46. فالدعوة إلى التعاون ـ إذن ـ لازمة مهما تغير الزمان ، وتعاقبت الأجيال ، وتغيرت العادات والتقاليد واختلفت الظروف.

أما الإحسان فهو قيمة عليا تؤدي إلى تنمية روح التكافل ، وتطلق الفرد من عقال الأنا أو (الذات) إلى مدارات إجتماعية رحبة ، وتجعله متضامنا مع إخوته وأبناء جنسه. وحقيقة الإحسان : هي التطوع بأعمال الخير التي لم يلزم

إن الإنسان المحسن هو الذي يمارس العطاء المالي ، أو يبذل جهودا إضافية في خدمة الناس ، والقرآن يحثّ على ذلك بقوله : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان وَإِيتَاىءِ ذِي الْقُرْبَى » النحل / 90 . فنجد العطاء هنا مقروناً بالإحسان ، ونجد دائرة القرابة هي الأقرب من حيث الاستحقاق.

ويقول الإمام علي "عليه‌ السلام " : « رأس الإيمان الإحسان إلى الناس » عيون الحكم والمواعظ / 264 .

وينبغي التنويه على أن الحضارة المادية قد جعلت مقابل أيّ إحسان ثمنا ماديا يتلقّاه المحسن مقابل إحسانه ، أما الإسلام فلا يرى ذلك سليما ، لأنّه يدعو إلى إسقاط قيم الإيمان باللّه ورجاء ثوابه في اليوم الآخر ، ويؤدي إلى تضييع فكرة الإخوّة ، من هنا فقد جعل الإسلام معايير خاصة لتثمين جهود المحسن من خلال الدعوة إلى احترامه في وسط المجتمع ، وتقديره لإحسانه ، وفوق ذلك الثواب الجزيل الذي ينتظره في دار المعاد ، قال أمير المؤمنين " عليه‌ السلام" « نِعمَ زاد المعاد الإحسان إلى العباد »

**أصول الكافي : 2 / 203 .**

وكان آل البيت عليهم ‌السلام يحثون أتباعهم على الإحسان بقدر الاستطاعة انطلاقا من حرصهم الدائم على توفير الأجواء المعيشية الكريمة بعيدا عن مبدأ الرّبح والخسارة الذي يشكل حجر الزاوية في الحضارة المادية المعاصرة .

ومن الشواهد ذات الدلالة على تنمية أهل البيت عليهم‌ السلام للشعور الاجتماعي إتجاه المؤمنين ، ما قاله الإمام الصادق عليه‌ السلام : « لأن أطعم مؤمنا محتاجا أحبّ إليّ من أن أزوره ، ولأن أزوره أحبّ إليّ من أن أعتق عشر رقاب » اُصول الكافي 2 : 203 .

إذن هنالك أولوية وتقدم رتبي لبعض أعمال الإحسان على بعض ، وإنّ لكلِّ عمل خيري ثوابه الخاص به حسب أهميته وبمقدار ما يدخله من نفع أو خدمة على المؤمنين ، والمثير في الأمر هنا أنّ الإمام الصادق عليه ‌السلام ينظر إلى قضية الإحسان من منظار أعمق وأرحب ، فهو يرى أنّ فضل المحتاجين عند الإحسان إليهم يكون أعظم من فضل المحسنين أنفسهم!. تمعّن جيدا في المحاورة الآتية :

عن حسين بن نعيم الصحّاف قال : قال أبو عبداللّه عليه‌ السلام : « أتحبّ إخوانك يا حسين؟ قلت : نعم ، قال : تنفع فقراءهم؟ قلت : نعم ، قال : أما إنه يحقّ عليك أن تحبّ من يحبّ اللّه ، أما واللّه لا تنفع منهم أحدا حتى تحبه. أتدعوهم إلى منزلك؟ قلت : نعم ، ما آكل إلاّ ومعي منهم الرجلان والثلاثة والأقلّ والأكثر ، فقال أبو عبداللّه : أما إنّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم ، فقلت : أطعمهم طعامي وأوطئهم رحلي ويكون فضلهم عليّ أعظم؟! قال : نعم ، إنّهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك ، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك» **اُصول الكافي 2 : 201 ـ 202 .**